83471 ـ أخفى إسلامه ودُفن في مقابر الكفار فهل يكون كافراً ؟

السؤال

لنفرض أن هناك نصرانيّاً قد أسلم ولم يخبر أهله ، فبعد فترة توفي ، ولكن أهله لا يعرفون أنه قد أسلم فسيصلون عليه في الكنيسة ويدفنونه على الطريقة النصرانية ، أريد أن أعرف ما حكم هذا ؟ هل يموت على الإسلام أم على الكفر ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

اعلم أخي الكريم ـ أولا ـ أن الفقهاء اتفقوا على أنه لا يجوز أن يدفن المسلم في مقابر الكفار ، ولا الكافر في مقابر المسلمين ، إلا لضرورة [انظر : الموسوعة الفقهية : 21/20 ، أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية ، د عبد الله السحيباني ، ص :231-232] .

وإذا مات المسلم في بلاد الكفار ، فإنه يجب على وليه ، أو من علم به من المسلمين ، أن ينقله إلى بلاد المسلمين حتى يدفن فيها .

وهذا النقل والتحويل إلى بلاد الإسلام حسب الاستطاعة ، فإن تعذر نقله فيدفن في بلاد الكفار ، لكن في غير مقابرهم . [انظر : أحكام المقابر ص : 225-226] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : " وهذا آكد من التمييز بينهم حال الحياة ، بلبس الغيار ونحوه ؛ فإن مقابر المسلمين فيها الرحمة ، ومقابر الكفار فيها العذاب " [الاختيارات ص 94] .

ثانيا : الصورة التي سألت عنها ، وهي حالة تتكرر لكثير من المسلمين المستضعفين في بلاد الكفر ، الذين لا يتمكنون من الهجرة إلى بلد يعلنون فيه إسلامهم ، ويأمنون فيه على دينهم وأنفسهم ، ولا يستطيعون ـ أيضا ـ إظهار إسلامهم في البلاد التي يعيشون فيها ، إما خشية على أنفسهم من بطش أقربائهم بهم ، كما هو الحال في سؤالك ، أو لغير ذلك من الأسباب ؛ فهؤلاء يبعثون على نياتهم ، وحكم في الآخرة حكم ما عندهم من الإيمان والعمل الصالح ، وليس حكم الأرض التي ماتوا فيها ، أو القبر الذي دفنوا فيه ؛ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) رواه مسلم (2878)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَنَازَةٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا

وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِسْلامِ اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ .

رواه أبو داود (3201) وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " .

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين – رحمه الله ـ :

" اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِسْلامِ) الحياة ذكر معها الإسلام ، وهو الاستسلام الظاهر ، ومع الموت ذكر الإيمان ؛ لأن الإيمان أفضل ، ومحله القلب ، والمدار على ما في القلب عند الموت وفي يوم القيامة "

" شرح رياض الصالحين " (2 / 1200) .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عما يقول بعض الناس : إن لله ملائكة ينقلون من مقابر المسلمين إلى مقابر اليهود والنصارى ، وينقلون من مقابر اليهود والنصارى إلى مقابر المسلمين ؛ ومقصودهم : أن من ختم بشر في علم الله ، وقد مات في الظاهر مسلما ، أو كان كتابيا وختم له بخير ، فمات مسلما في علم الله ، وفي الظاهر مات كافرا ، فهؤلاء ينقلون ؛ فهل ورد في ذلك خبر أم لا ؟ وهل لذلك حجة ؟ أم لا ؟

فقال رحمه الله : أما الأجساد فإنها لا تنقل من القبور ، لكن نعلم أن بعض من يكون ظاهره الإسلام ، ويكون منافقا : إما يهوديا أو نصرانيا أو مرتدا .. ، فمن كان كذلك فإنه يكون يوم القيامة مع نظرائه ، كما قال تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أي أشباههم ونظراءهم . وقد يكون بعض من مات ، وظاهره الكفر ، قد آمن بالله قبل أن يغرغر ، ولم يكن عنده مؤمن ، وكتم عن أهله ذلك ؛ إما لأجل ميراث أو لغير ذلك ، فيكون مع المؤمنين ، وإن كان مقبورا مع الكفار .

وأما الأثر في نقل الملائكة فما سمعت في ذلك أثرا . انتهى من الفتاوى الكبرى (3/27) بتصرف يسير .

والله أعلم .